

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

وقال أبو روق: إنَّها تكتب للكفَّار، وذلك أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلها، وكان المشركون يقولون: (لَا تَسْمَعُوا لَهُذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون). فربَّما صفَّقوا وربَّما صفَّروا وربَّما لغطوا؛ ليغلطوا النبي (صلى الله عليه وآله)، فلمَّا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك أسرَّ في الظهر والعصر وجهه في سائرهما، وكانوا يضايقونه ويؤذونه، فأُنزل الله تعالى هذه الحروف المقطَّعة، فلمَّا سمعوها بقوا متحيِّرين متفكِّرين، فاشتغلوا بذلك عن إيذائه وتغليطه، فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم. وقال الأخفش: إنَّما أقسم الله بالحروف المعجمة، لشرفها وفضلها، ولأنَّها مباني كتبه المنزلة بالألسن المختلفة، ومباني أسمائه الحسنی وصفاته العلیا، وأُصول كلام الأُمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحِّدونه، وكأنَّه أقسم بهذه الحروف أنَّ القرآن كتابه، وكلامه لا ريب فيه. وقال النقيب: هي النبذة والاستئناف؛ ليعلم أنَّ الكلام الأوَّل قد انقطع، كقولك: ولا، إنَّ زيدا ذهب. وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها، أنَّها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد (صلى الله عليه وآله)؛ وذلك أنَّ كلَّ حرف منه، من هذه الحروف الثمانية والعشرين [498]. والعرب تعبَّر ببعض الشيء عن كلامه، كقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) [499] أي: صلُّوا لا يصلُّون. وقوله: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) [500] فعبَّر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها.